ليلة خسرها الشيطان

قصة قصيرة كتبها الرئيس أنور السادات عام ١٩٥٤

اخذ قرص الشمس يهبط رويدا رويدا ، فتناثرت من تحته ظلال رمادية راحت تغمر سماء قرية «العابدية» معلنة غروبا جديدا ..

وهذه سنة الله .. فلابد ان يسير الكون مابين شروق وغروب ، ونور وظلام نحو النهاية التى أرادها له خالقه القادر القوى الرحمن ..

وموكب الغروب فى القرية مهرجان رائع يتكرر كل يوم، فبينما تزدحم الطرق الزراعية بجموع العائدين من كفاح اليوم الطويل فى الأرض الطيبة رجالا ونساء ومواشية وانعاما .. ترى القرية وقد اكتست بدخان داكن يتعالى فى هدوء الى السماء ، فوجبة الطعام الرئيسية لابد أن تسكون فى استقبال الرواد العائدين ، شهية بقدر مانالوا وبقدر مايسمح به دخل البيت ومهارة سيدته شريكة الكفاح ..

وحالما ينتهى الزحام على الطرقات يبدأ زحام من لون جديد على الساقى والطلمبات ، فان احدا من هؤلاء الرواد لن يأوى الى مضجعه من غير أن يطمئن الى سقاية ماشيته وانعامه ..

وفى هذا اليوم وقف « خضر » من خلف سور ذلك القصر الانيق يرقب كعادته موكب السقاية من ذلك الحوض الكبير

ليلة خسرها الشيطان

الذى آتامنه سيدته صاحبة الأرض والجاه والثراء ، وربته ذلك القصر ، وربة ذلك الحسن الذى يصرخ من ضحكاتها الحلوة العابثة فتنة والتهابا ..

ان « خضرا » اليوم فى دوامة تأخذ عليه عقله وقلبه وحسه وكل حياته .. فهو يذكر أول يوم عندما نزح الى القرية لكى يعمل مع الأجراء من عمال الأرض فانتقته «نورا» من بين عشرات النازحين واختارته لكى يشرف على حديقتها الخاصة الملحقة بالقصر بأجر مغر قدره خمسة جنيهات كاملة ..

وهو يذكر أيضا انها لم تسأله عن سابق علمه بالعمل فى الحدائق ، وانما سألته عن نفسه وسماته التى وصفتها بأنها تدل على النبل ، وعن قوامه الذى أعجبها إيما اعجاب وعن .. وعن .. ولما أن ارتفعت عيناه خجلا وأحمر وجهه وأراد أن يجيب ؛ لم يجد الا تمتمة وهمهمة ردت عليها « نورا » بتلك الضحكة الحلوة العابثة وهى تربت على كتفيه وكأنها سعدت بذلك الخجل وتلك التمتمة ..

وهو يذكر أيضا أنها لم تكتف بذلك وانما أخذته من يده وقادته الى الحجرة المخصصة له فى طرف الحديقة، وأرشدته الى ما فيها من امتيازات لم يألفها ، بل ولم تذاهب خياله قط وهو الذى لم يعرف الا تلك الدار المتواضعة التى نزح عنها .. وكأنما ارادت أن تذهب مابقى بلبه من رشاد فأمرت الخدم بادارة تنظيفها وترتيبها من جديد ..

« عشانك ياخضر .. »

لقد أمعنت «نورا» فى العبث بفطرة ذلك الفتى السلاج الى حد أن اذهلته عن أمسه وحاضره وكيانه فى مستقبل الأيام، انه ليسأل نفسه وهو يقبض بيديه على حديد السور يرقب موكب السقاية ألف سؤال وسؤال .. لماذا تنادبه « نورا » فى مناسبة وفى غير مناسبة لتروى له طرفا من حياتها فى المدينة وكيف أن الكثيرين من أهل الثراء يتوددون اليها طامعين فى مالها وجمالها وفى مجالسها وكيف أنها تضن بقلبها أن يعبث به الطامعون وانها لن تسلم قلبها وأموالها الا لمن تشعر أنه يريدها لشخصها حتى ولو كان أحد عمال أرضها الأجراء ..

ولذلك الذى حدث يوم أن كان يقلم اشجار الورد فى

الحديقة ولم يكن له بهذا الفن سابق علم فكان أن نفذت شوكة طويلة فى راحة يده وتصادف أن « نورا » كانت تمر بالقرب منه فهالها أن ترى الدماء تنزف منه وأخذته مسرعة الى جناحها الخاص حيث أجرت له الضمادات وكانت ذراعه عارية الا من قميص مهمل فأخذت « نورا » بعد أن أسعفته تمسح بيديها على عضلاته وفى عينيها بريق عجيب لم يكن لبراء طيلة حياته ، فقد عودته الشموة فى القرية الا يرى بريق عيونهن من فرط الخجل أو من فرط استحيائهن .

لقد لمست بيديها بلطف أول الأمر ثم بعنف وهى تقترب منه لتغسل له الجرح فاومت ظهارته وروحه بتلك الانفاس الحارة التى انبعثت منها مختلطة بذلك العطر القوى الذى شل من فتانا كل حراك ؛ وعندما قام لينصرف وهو يشكر لها صنيعها فى كلمات لاهثة منقطعة ويقبل يدها مارامه الا أن همست فى اذنه بصوت حالم انطبع بعنف على وجدان البرىء : « انتظرنى يوم الخميس الجاى ياخضر .. مسترجع من مصر علشانك مخصوص » .

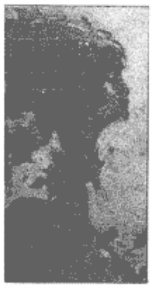

هل كان وهمه يطلب صراحة اكثر من هذا ؟ وهل كان شيطان الشك يريد منها وعدا أفضل من هذا ؟ لا لم يعد هنا وهم ولاشك، وانما هو يقين بعركباته باقوى مما بفعل الشك.

لقد عاش يومين بعد هذا اللقاء محموما متخدرا فى حلم اشتهى ألا يفيق منه . كان يذكر اللقاء ليسترجعه وليردد قولها كلمة كلمة . ان تبرات صوتها لاتزال تعبث فى اذنيه واشحة شجية تطارده وهو ينام ويؤنسه وهو يعمل فى خدمة حديقتها التى لم ينقض عليه فيها شهر بعد .

أبه أيتها المشاعر البشرية بل أيتها العواطف الانسانية .. لقد كان فكره فى أيامه الأولى يدور حول الجنيهات الخمسة التى ظلما منى نفسه بأنه سيتناولها متماسكة فى ورقة واحدة كان يراها فى أيدى تجار الغلل ، وكانت آماله تأمله ليجلس عليها ويرفعها فى احترام الى شفتيه ليقبلها فى لهف .. كم من ساعات انصرمت عليه وهو يحرك هذه الآمال وكأنما تمر على صفحة تلك الورقة العريضة التى شاءت فيها الحمرة كما تشيع فى وجنتى سيدته الرشيقة الباسمة دائما .

ليلة خسرها الشيطان

كان فكره يدور حول الجنيهات الخمسة فى سذاجة وبراءة ولكنه أصبح اليوم ولا هم له ولا لفكره ولا لخياله سوى سيدته نفسها .. سيدته وسيدته فى الحاح .. ان هواتف نفسه تتصارع بين رغبة جامحة طارئة وبين ما نشأت عليه فطرته الساذجة من اعتراف بالجميل ولكنها سيدته ايضا انها هى التى شجعته فتشجعت غرائزه وهى التى كشفت بعطرها وانفاسها عما كان يكبته .ان «خضرا» يعانى صراعا لم يكن فى حسبانه بين ماحرم الله فى كتابه وما ايقظته فيه سيدته من هواتف ..

ظل « خضر » فى موقفه هذا على السورتانهاشارداولم يحس أن القوم قد انصرفوا بانعامهم عن الحوض الكبير وأن الليل قد زحف على القرية ولم يدر الا والرجفة تأخذه .. ان اليوم هو الخميس الذى واعدته عليه سيدته فلابد أن يذهب ليعد نفسه للقائها ..

وفى خطوات وئيدة توجه « خضر » الى طرف الحديقة حيث يوجد مسكنه وما ان فتح غرفته حتى وقف كالمصعوق لقد وجد « نورا » فى غلالة شفافة تلف جسمها وهى تفضحه .. وراعته المفاجأة فتسمر فى مكانه « ونورا » تناديه :نادته بصوتها الذى سحره ونادته بضحكها الذى أذهله ونادته بذلك البريق الذى رآه فى عينيها وهى تضمد جراحه .. ولكن « خضرا » ظل فى مكانه ..

وعصفت الرغبة بنورا فارسلت ضحكة عالية لم تكن كضحكاتها السابقة وانما كان فيها صراخ الشيطان .والقت بجسدها بين احضانه .. وصرخ الوحش فى دماء « خضر» فلم يشعر الا وهو يتلقف ذلك العود الغائر الدافىء بين ساعديه. واطبقهما فى عنف وكانما يريد أن يعتصر كل ماق العود .. وصرخت « نورا » من الألم . فارتد « خضر »فى ذهول ليرى على الأرض حلية سقطت من صدر « نورا »بعد ان ادمته ..

●●●

ووسط ذلك الليل البهيم انشق الهدوء والسلام فى طرقات القرية على صيحات خضر المذعورة وفى يده شىء يطبق عليه ..

كان كتاب الله فى حلية من ذهب .

www.anwarsadat.org